بيت داود: حقيقة أم خيال؟

زيدان عبدالكافي كفافي

ملخص: قدم الباحثون التوراتيون تفسيرات مختلفة ومتعددة للروايات التوراتية، وشهدت السنوات الماضية صراعاً مخفياً بين مدرستين هما: التوراتية التقليدية، والتشكيكية؛ فالأولى نادت منذ تأسيسها بصحة ما جاء في التوراة من معلومات وبنت عليها نظريات تبدأ بتكوين الكون، وتعرج على تاريخ الإسرائيليين من خروجهم من مصر وحتى تأسيس دولتهم، وتحطيمها في فلسطين. وبعد أن احتل الصهاينة أرض فلسطين، يحاولون الآن رسم شجرة عائلة لهم، خاصة بناء سلالة الملك داود من خلال بعض النقوش المكتشفة في عدد من المواقع في فلسطين، والأردن، والعراق، ومصر. لذا، نحاول في هذا البحث أن نفند، ونناقش هذا الأمر اعتماداً على مصادر علمية صحيحة.

Abstract: It has been remarked that over the last few years, biblical scholars published more studies relating to the Biblical narratives. In addition to the traditional biblical school, a new one has appeared in Copenhagen/Denmark and its followers have been known as the "minimalists". The followers of the first school maintain that all information about the Israelite history should be derived from the Bible. And during the last few years, several Israelite and other biblical scholars have argued that they uncovered the name of "Bet David" in few inscriptions found in several sites in the Middle East. This paper aims to re-evaluate, on scientific basis rather than personal dreams, the several arguments that discussed "Bet David" and were published by biblical scholars-

مقدمة

قام الباحثون التوراتيون عبر العقود المختلفة بتقديم تفسيرات متعددة للروايات التوراتية؛ فمنهم من أخذ بصحة ما ورد فيها دون نقاش، وآخرون ذكروا أنه لا يمكن الأخذ بكل ما ورد فيها، بينما رفض طرف ثالث جميع ما جاء فيها. إن الدراسة الأدبية لما ورد في كتاب العهد القديم، وبشكل خاص، في سفري التكوين والخروج، نتج عنه تفسيرات ونظريات فاقت عدد كتابها. وبما أنني لست واحدا من هؤلاء، فإنني أسعى في دراستي هذه أن أكون علميا، أعتمد فيما أقول على النصوص التاريخية الأصلية، والآثار المكتشفة. كما نود الإشارة هنا إلى أننا لن نقوم هنا بإبداء رأي حول موضوعات كتاب العهد القديم، بقدر ما سنركز الحديث حول ما يدور خلال السنوات المنصرمة، الأخير ة من وجود دلائل وإثباتات كتابية على «بيت داود»، أي المقصود الملك داود وذريته. كذلك فإننا نؤكد أن المقصود من هذا البحث مناقشة وتفنيد ما نشره الإسرائيليون ومن تبعهم في دراسة بعض النصوص المنقوشة والمكتوبة، وليس ما ورد في الكتب الدينية وعلى رأسها القرآن الكريم.

وما يهمنا في هذا المقام، هو سلالة داود، وما هو علاقتها بالإسرائيلين، وبخاصة إذا ما علمنا بأن الصهاينة الحاليين يحاولون ربط نسبهم بيعقوب ابن إسحق ابن إبراهيم. ومن الجدير بالذكر، أن أياً من هؤلاء لم يذكر خارج الكتب السماوية. فأما بالنسبة لإبراهيم فقد ورد ذكره في أكثر من آية وإصحاح في العهد القديم، ونورد هنا ما ورد في سفر التكوين (١١: ٢٧): «وهذه مواليد تارح. ولد تارح أبرام وناحور وهاران. وولد هاران لوطا». وأما في مكان آخر (١٢: ٥-٧): «فأخذ أبرام ساراي امرأته ولوطا ابن أخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران. وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان. فأتوا إلى أرض كنعان. ٦ واجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة. وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض. ٧ وظهر الرب لأبرام وقال لنسلك أعطي هذه الأرض. فبنى هناك مذبحاً للرب

العدد الخامس والعشرون - صفر ١٤٣٣هـ - يناير ٢٠١٢م
(ص ص ٩١ -١٠٢) ردمد ٨٩٤٧-١٣١٩

الذي ظهر له».

ويربط كثير من الباحثين بين ذهاب إبراهيم من أرض كنعان إلى مصر وبين قدوم الشعوب الآسيوية إليها سواء للتجارة أو الاستقرار. ويرى بعضهم أن قائد قافلة الحمير المصورة على جدران أحد قبور «بني حسن» وتعود للقرن التاسع عشر قبل الميلاد هو إبراهيم المذكور في التوراة. ونقفز بعد هذا إلى سعي كثير من الباحثين إلى الربط بين قصة سيدنا يوسف وإقامته في مصر، والمكانة المرموقة التي وصل إليها في فترة القرنين السابع عشر والسادس عشر قبل الميلاد. ويضيف هؤلاء الباحثون إلى أن الذين خرجوا من مصر مع موسى، ربما في زمن الفرعون المصري رمسيس الثاني أي في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، هم من أحفاد يوسف.

ونود أن نشير إلى أننا نرى أن التتابع الزمني الوارد في أسفار العهد القديم يتناقض مع نفسه؛ فلا يمكن لنا قبول أن الشخص الذي قاد قافلة الحمير هو إبراهيم، حيث يرد اسمه في النصوص المصرية باسم «أبشاي». والشيء الآخر، ولو افترضنا صحة القول بأن الخروج حصل من مصر بعد أربعمائة عام من قدوم «يوسف» إليها، فهل من المعقول أن لا يختلط، بل يذوب عرق أحفاد يوسف مع أصحاب الأرض المصريين. كما وأود أن أضيف هنا إلى أن عددا من الأفراد أو ربما القبائل الآسيوية وصلت إلى مصر كأسرى حرب، وهذا ما تؤكده سجلات الحملات العسكرية المصرية على بلاد الشام، خاصة خلال الأسرتين الثامنة عشرة، والتاسعة عشرة (حوالي ١٥٥٠ – ١٢٠٠ قبل الميلاد). وللمزيد، كذلك يجب أن لا ننكر وجود عبيد آسيويين، من أعراق وأجناس مختلفة في مصر شكلوا جزءاً من عمال السخرة لبناء مباني ضخمة أيام الفراعنة الأقوياء في مصر، مثل رمسيس الثاني. ومن الطبيعي أن يهرب مجموعة من هؤلاء العمال السخرة، بصرف النظر عن جنسهم، من ظلم الفرعون.

واعتماداً على النصوص المكتوبة، ونتائج الحفريات الأثرية نستطيع الجزم بأن قدوم أفراد أو جماعات من بلاد الشام إلى مصر، أو النزوح منها، سواء للتجارة أو لأسباب أخرى، كان أمراً سائداً خلال العصور القديمة. ومن هنا، فإننا لا نستبعد أن يكون ما ورد في التوراة حول الخروج من مصر لا يخرج عن كونه جزءاً من التاريخ الشفوي القبلي لمجموعة تنتمي إلى الإسرائيليين الأوائل.

وتسرد إصحاحات العهد القديم قصة الخروج من مصر، وتسهب بها، وقام عدد كبير من الباحثين بتقديم تفسيرات للمعلومات الواردة فيها. فنجد أن الباحث الأب رونالد دي فو "R. de Vaux" يذكر بأن الخروج قد تم عن طريقين منفصلين هما: الأول يمر بحافة الزاوية الجنوبية الشرقية للبحر المتوسط، والثاني وهو الذي اتبعه «موسى» فينحرف نحو الجنوب إلى أطراف جزيرة سيناء قبل الاتجاه شمالاً إلى شرقي نهر الأردن، وبعد ذلك الدخول إلى فلسطين. والمجموعة التي سلكت الطريق الثاني عادت إلى حياتها البدوية المتنقلة، فسارت بشكل بطيء حتى وصلت إلى فلسطين. وبالطبع، فإن هذا التفسير يعتمد بشكل كبير على الربط بين الحياة البدوية في الماضي والحاضر. ولكن الدراسات الأثرية التي جرت في جنوبي الأردن، وحتى الآن لا تدل على وجود آثار لهذه الجماعات المتنقلة. ويعترف دي فو بأنه لا يوجد طريق، بل ومن العبث تتبعه. كذلك لا بد لنا من الاسترشاد بنتائج الدراسات الأنثروبولوجية، إذ أنها أكدت على أنه وخلال الألف الثانية قبل الميلاد، من النادر أن يتجاوز عمر الإنسان الخمسين عاماً، وعليه فإن الفترة الحقيقة للتيه في صحراء سيناء لا بد من إعادة النظر فيها (كنيون ١٩٩٠: ٤٦). وحتى الآن عجز الآثاريون عن التعرف على الموقع الذي بني فيه تابوت العهد تخليداً لذكرى عبورهم النهر والمسمى «جلجال».

لقد لعب الدين دوراً أساسياً في الفكر الصهيوني، وهو الأساس الذي تقوم عليه دولة إسرائيل العنصرية. خاصة إذا ما علمنا أن هذا الأساس يقوم على تاريخ توراتي مزور. وكما نعلم فإن الدارس للنصوص التوراتية يستطيع الإستنباط بأن دين «موسى» ضرب من العبادة الربوبية (رب والدي، والدك، والده)، وتقوم على عبادة الإله «إيل El». وهذا الإله هو الذي وعدهم بدخول أرض كنعان؛ وبناء عليه، يرى القارئ المتفحص بأن هناك رباط بين سفر التكوين، وما تبعه من أسفار وبخاصة المذكورة في الخروج، ويوشع. وهذا الدين الذي جاء به القادمون الجدد (البدو الرحل) يختلف كليا عن دين سكان بلاد كنعان الأصليين المستقرين، والذي يقوم

على تعدد الآلهة. ومن هنا، نستطيع القول إن معرفة دين الإسرائيليين يعتمد على ما ذكرته النصوص التوراتية، بينما نستمد معلوماتنا حول دين سكان المدن والقرى الكنعانية من البقايا المادية المكتشفة بواسطة الحفريات الأثرية مثل أبنية المعابد؛ مثل مواقع تل وقاص، وتل الدوير، وتل المتسلم، وبلاطة، وبيسان. ومن هنا، نرى تناقضاً أساسياً بين بيت الإله عند الكنعانيين، وبين القبائل الإسرائيلية التي تحولت عن عبادة الإله «إيل» إلى الإله «يهوه»، حيث كان مكانه خيمة، ولم يستقر المكان، حسب الرأي التوراتي، إلا بعد أن بنى سليمان معبده في القرن العاشر قبل الميلاد. كما يجب الإشارة إلى أن الديانة الكنعانية كانت متأثرة إلى حد كبير بديانات الأمم المجاورة في وادي الرافدين ومصر، إذ عثر في معابد بيسان، على سبيل المثال لا الحصر، دمى تخص الآلهة حاتحور وحورس.

وحسب روايات كتاب العهد القديم، فإن القبائل الإسرائيلية استقرت في المدن والقرى الكنعانية في فلسطين بعد دخولها عنوة، أي عن طريق الحرب، لكن الحفريات الأثرية التي جرت حتى الآن لا تؤيد هذا الإدعاء. لكن علماء التوراة يذهبون إلى أنه ومع نهاية القرن الحادي عشر قبل الميلاد توضح استيطان القبائل الإسرائيلية في مواقع فلسطينية بعد محاولاتهم نسبة عدد من المخلفات الأثرية لها. وتبدأ القصة التوراتية إلى أنه خلال هذه الفترة قاد شاؤول ولفترة قصيرة انتهت في هزيمته من قبل البلستينيين في معركة جلبوع، وتولى الحكم من بعده داود. وسمعة داود، والذي كان جنديا مرتزقا في صفوف البلستينيين، سبقته بين القبائل الإسرائيلية. ونستطيع القول إن النص التوراتي والذي يصف داود بأنه انضم لصفوف البلست، وحاول الانطلاق من هناك في هجمات على ما جاوره، إنما يبين لنا حلم هذا الشخص في السيطرة على بقعة واسعة يبني فيها دولة له. ويذكر بعض الآثاريين، ممن نقبوا في منطقة بئر السبع، مثل «خربة المشاش» أن عدداً من المواقع شهد تدميراً في حوالي ١٠٠٠ قبل الميلاد ويربطون بين هذا التدمير ونشاطات داود في المنطقة (Fritz and Kempinski 1983: 230). لكن آخرون يرون أن سبب التدمير ربما نتج لتغيرات مناخية تسببت في قحط دفع الناس لهجرة المنطقة وتدمير المواقع فيها، ومنها «خربة المشاش». كذلك لا بد من الإشارة أنه لا يوجد أي نص تاريخي خارج النص التوراتي (صموئيل الثاني ٢: ١-٤) القائل بتتويج داود ملكاً على مدينة حبرون «الخليل» وما حولها، أي المنطقة الواقعة إلى الجنوب من مدينة بيت لحم.

من هو الملك داود؟

لا تزودنا النصوص التوراتية بمعلومات كثيرة حول نسب الملك داود، لكنها تذكر أنه ابن لشخص يدعى «يسَي» من بيت لحم (صموئيل الأول: ١٦: ١). وتذكر التوراة أن «يسَي» هذا من أصل مؤآبي بدلالة أنه طلب حماية ملك مؤآب لوالديه خلال ثورته على الملك شاؤول (صموئيل الأول: ٢٢: ٣-٤). لكن بعض الباحثين (Ahlstrom 1980: 285- 287; 1993: 455) يخالفون هذا الرأي، ويرون أن موقع بيت لحم في منطقة قريبة جداً من القدس يجعلها تابعة لليبوسيين في القدس، وحيث أن داود من مواليد بيت لحم فهذا يجعله يبوسياً. ولهذا السبب، فإنهم يرون أنه لم يكن لا يهودياً ولا حتى إسرائيلياً، بل كان شاباً كنعانياً رأى أن هناك فرصة له في تحسين معيشته إذا تمكن من الانضمام لجيش شاؤول، ففعل، لكنه انقلب على قائده (Howard 1992: 41; Ahlstrom 1993: 456). ويضيفون أن سكان المناطق المجاورة لبيت لحم لم يساندوا داود أثناء تمرده على شاؤول وتجواله مع أفراد عصابته في منطقة بيت لحم، لهذا انتقل لخدمة البلستينيين. وتؤكد نصوص العهد القديم (صموئيل الأول ٢٧: ١-٤) على هروب داود هو وستمائة من رجاله من وجه شاؤول إلى ملك جت البلستيني الذي أعطاه مدينة «صقلغ» فاتخذ منها منطلقاً لغزواته وهجماته على المناطق المجاورة (Howard 1992: 42-43; Ahlström 1993: 458). ويرى بعض الباحثين أن موقع «صقلغ» هذا هو إما «تل الخويلفة» الحالي والذي يبعد حوالي ٤٨كم إلى الشمال الشرقي من مدينة بئر السبع (Seger 1983: 15)، أو تل الشريعة والذي يبعد المسافة نفسها عن مدينة بئر السبع لكن إلى الشمال الغربي (Aharoni 1968: 291; 443).

وحيث أن جميع المعلومات المتعلقة بداود مأخوذة أساساً من كتاب العهد القديم، والمشكوك في أصالته، يبحث

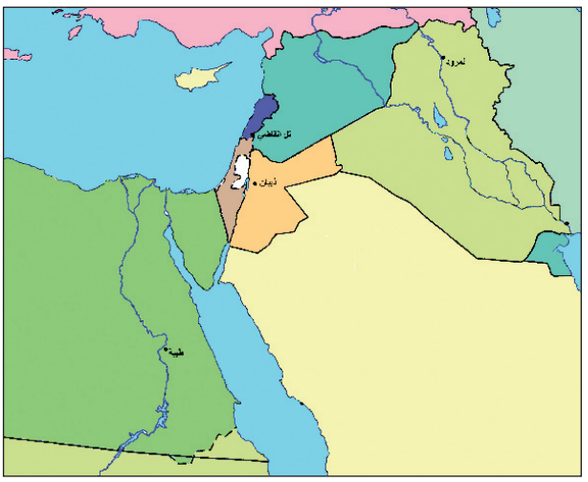

الخريطة ١: تبين المواقع التي عثر فيها على مسلة مرنبتاح، ونقش تل القاضي، ونقش ميشع، والمسلة السوداء.

الإسرائيليون الصهاينة الآن عن إثباتات كتابية تاريخية وأثرية تثبت صحة هذه المعلومات. استطاعت إسرائيل الصهيونية، وبواسطة الحرب، احتلال أرض فلسطين من البحر إلى النهر. وهي تحاول الآن إيجاد هوية ثقافية، وعرقية لها حتى تبرر لنفسها أمام العالم أسباب قيامها أساساً. لذا، نجد أنها من الناحية الثقافية تنسب لنفسها تراث أهل فلسطين الثقافي وبمكوناته المتعددة، وبخاصة الآثار المنسوبة للعصر الحديدي (حوالي ١٢٠٠ – ٥٣٩ قبل الميلاد). كما أنها تبحث الآن عن نسب ينسبها إلى أهل بلاد فلسطين الأوائل، ووجدت ضالتها في الكتابات القديمة، ولو كانت، كما يعتقد بعض الباحثين، مزورة. إذ نشر باحثون إسرائيليون، وأجانب نصوصاً منقوشة على حجارة ذكروا أنهم عثروا عليها في مصر وفلسطين والعراق، لكن أهمها كان مسلة منقوشة بالخط الآرامي عثر عليها في موقع تل القاضي «تل دان» في فلسطين كتبها ملك آرامي انتصر على الإسرائيليين، وتذكر فيما تذكر اسم «بيت داود»، واعتبروا أن هذا يثبت وجود ملوك هم في الأساس من نسل الملك داود، والذي يعدونه مؤسس مملكة إسرائيل الموحدة (حوالي ١٠٠٠– ٩٢٣ قبل الميلاد).

وحتى نضع الأمر في نصابه الصحيح، ونناقش الأمر بطريقة علمية وتجرّد رأينا أنه لا بد من دراسة ومناقشة هذا النص ونصوص أخرى يعدها الإسرائيليون مصدراً مهماً عند الحديث عن نسبة الإسرائيليين إلى بيت داود وهي:

- مسلة الفرعون المصري مرنبتاح.
- نقش تل القاضي (المعروف بالمصادر الأجنبية باسم نقش دان).
- نقش الملك المؤآبي ميشع.
- المسلة ألاشورية المعروفة باسم «المسلة السوداء Black Obelisk.

ونقدم فيما يأتي دراسة لكل مصدر من هذه المصادر الأربعة، مرتبة حسب أقدميتها:

• مسلة الفرعون المصري مرنبتاح:

من المعروف، أنه وعلى مدى الدهور القديمة والحديثة، فإن فلسطين ارتبطت مع مصر بعلاقات قوية، وبخاصة في النواحي التجارية، حيث يعدَ موقع فلسطين الجغرافي حلقة وصل ربط، ولا يزال يربط، بين مصر وآسيا. لذا، خضعت فلسطين ولفترات زمنية لحكم الفراعنة، وشكلت في العصر البرونزي المتأخر (حوالي ١٥٥٠ – ١٢٠٠ قبل الميلاد) جزءاً من المملكة الحديثة في مصر. من هنا، نجد أن كثيرا من أسماء الشعوب، والأماكن في فلسطين مسجلة في الوثائق المصرية من هذه الفترة. لكننا نجد أن هذه المصادر، المؤرخة للفترة الواقعة بين حوالي ١٢٠٠ – ٩٢٣ قبل الميلاد تخلو من الإشارة لإسرائيل، أو يهوذا، أو حتى القدس (Ahlström 1993: 46). ويعدَ الباحثون التوراتيون أن الإسم إسرائيل الوارد في مسلة مرنبتاح (١٢١٣ – ١٢٠٤ قبل الميلاد) والتي تخلد انتصاره على القبائل الليبية، والمنحوتة من حجر الغرانيت وتم العثور عليها في مدينة طيبة عام ١٨٩٦م (الخريطة ١)، أقدم إشارة لإسرائيل شعباً، وليس أرضاً (Wilson 1969: 378).

اكتشف هذه المسلة (اللوحة ١) الآثاري الإنجليزي فلندرز بتري عام ١٨٩٦م، وهي معروضة الآن في المتحف المصري في القاهرة، ويذكر أنه عثر على جزء آخر منها في مدينة الكرنك (Redmount 1999: 97). ويبلغ ارتفاعها ٣. ١٨م وعرضها ١. ٦٣م، وتؤرخ للسنة الخامسة من حكم مرنبتاح (أي حوالي ٢٠٠٨/٢٠٠٩ قبل الميلاد).

قام الباحث الألماني فيلهلم شبيغلبيرغ (Wilhelm Spiegelberg) بقراءتها وترجمة نصها، وذكر أن ما ورد فيها يخلد انتصار الفرعون على الليبيين وحلفائهم من شعوب البحر، وأضاف أن السطرين الأخيرين يشيران إلى حملة قام بها الفرعون على بلاد كنعان وانتصر على عدد من سكان مدنها عسقلان، وتل الجزر، ويانوعام، (Spiegelberg 1896). وورد على لسان شبيغلبيرغ أنه حار في قراءة الأسم "I. si. ra. ar?" حتى اقترح علية بيتري أن يكون الأسم هو إسرائيل. ويذكر بعض الباحثين أنه من الضرورة بمكان مراجعة نتائج دراسة شبيغلبيرغ، حيث أن أخبار الحملة على بلاد كنعان نقشت على شكل حاشية في آخر النص البالغ عدد أسطره ٢٨ سطراً، وليست ضمنه. ما جعل بعض الباحثين يشكوون بحصول حملة عسكرية مصرية على كنعان في ذلك الوقت، وأن هذه المعلومة أضيفت في وقت لاحق على كتابة النص الأصلي (Lemche 1998: 36-37).

اللوحة ١: مسلة مرنبتاح (أنظر Isserlin 1998: Fig. 34)

كما أن غوستا آلشتروم (Ahlström 1993: 45) يفضل أن تكون الأسماء المذكورة في الحاشية (عسقلان، وتل الجزر، ويوناعم، وإسرائيل، وكنعان، وحورو) هي أسماء أماكن وليس شعوب، ويوافقه على هذا نيلس بيتر لمكه (Lemche 1998: 37)، ويقترحان أن يكون الإسم هو «يزراعيل» أي سهل مرج ابن عامر (الجزء الشمالي من المرتفعات الجبلية الوسطى). وكما نود الإضافة إلى أن نتائج الحفريات الأثرية التي جرت في المواقع الأثرية المذكورة في النص لا تشير إلى تدمير حدث في زمن الفرعون المصري مرنبتاح، عدا ما ذكره وليم ديفر حول تل الجزر في أن تدمير الطبقة XIV في الموقع تم على يد هذا الفرعون (Dever 1996: 398).

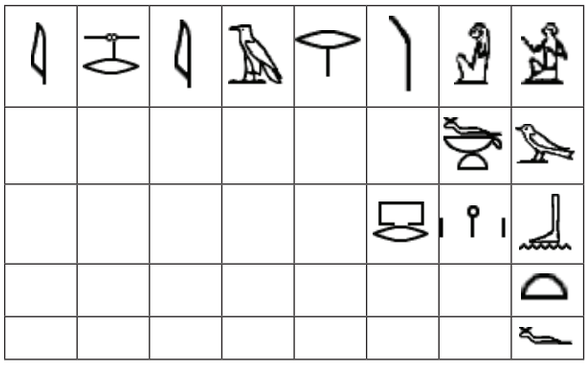

[7]

ysrỉ'r[8]

fk. t

bn

pr. t

=f

Israel

waste

[negative]

seed/grain

his/its

الشكل ١: الإسم إسرائيل كما كتب بالهيروغليفية على مسلة مرنبتاح

(Wikipedia, Merneptah Stele)

وحيث أننا لا نود أن نرى وجهاً واحداً لقطعة العملة، نورد أدناه آراءً أخرى حول كلمة «إسرائيل/يزراعيل) الواردة

في النص. فمثلاً يرى مايكل هاسيل (Hasel 1994: 52-54) أن كلمة حبوب pr. t الواردة في النص والمتعلقة بالكلمة إسرائيل/يزراعيل دالة على الشعب وليس الأرض. حيث يمكن ترجمة الجملة التي تذكر إسرائيل على النحو الآتي: » دمرت الإسرائيليين، ومخازن حبوبهم». وهذا يعني أنهم لن يستطيعوا البذار في السنة القادمة، لذا ستكون قحطاً عليهم». وأن هؤلاء شكلوا قبيلة رعوية، عاشت في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، ومارست الزراعة، لكن دون ارتباط بأرض. كما أن آخرين (Redford 1992) يعتقدون أن هؤلاء هم قبائل الشاسو البدوية التي ذكرت سابقاً في السجلات المصرية. وينكر هذا الربط بين كلمة إسرائيل الواردة في النص وقبائل الشاسو البدوية التي عاشت في جنوبي بلاد الشام علماء آخرون، ويزعمون أن الكلمة تشير إلى مجموعة بشرية أقامت في منطقة المرتفعات الجبلية الوسطى في بلاد كنعان خلال نهاية العصر البرونزي المتأخر، أي في المنطقة نفسها التي قامت فيها مملكة إسرائيل في مرحلة لاحقة (Steger 2001).

ومن الملاحظ، وبناء على المعلومات الواردة أعلاه بخصوص التفسيرات المنشورة حول كلمة «إسرائيل/ يزراعيل» الواردة في نص مسلة مرنبتاح، فإن العلماء يشككون في أصليتها، ولم يتفقوا حتى الآن على تفسير موحّد لها، أو لمعناها.

• نقش تل القاضي:

يقع تل القاضي في أسفل المنحدر الجنوبي لجبل الشيخ في منطقة تربط جبال الجولان/سوريا ومزارع شبعا/ لبنان وشمالي سهل الحولة في فلسطين (الخريطة ١). بدأت بعثة أثرية إسرائيلية أعمال التنقيب فيه ابتداء من عام ١٩٦٦م، بإشراف أفراهام بيران (Biran 1994). ومن أهم ما كشف النقاب عنه في الموقع ثلاث كسر، تمثل أجزاء من مسلة مصنوعة من الحجر البازلتي وجدت مكسّرة، وتم إعادة استخدام الكسرة الكبيرة منها في بناء الوجه الخارجي لأحد جدران المدينة بالقرب من البوابة الجنوبية، المؤرخ لمنتصف القرن التاسع قبل الميلاد. ويبلغ ارتفاع كسرة الحجر هذه ٣٢ سنتيمتراً وأقصى عرض لها ٢٢ سنتيمتراً

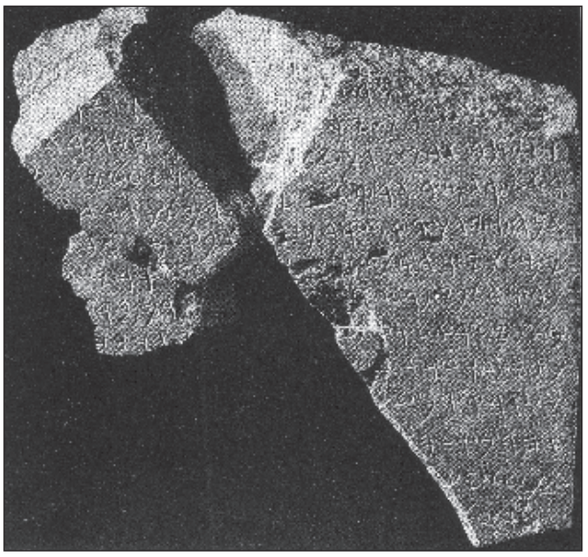

اللوحة ٢: نقش تل القاضي (دان) (عن Isserlin 1998: Fig. 36)

(اللوحة ٢). وعثرعلى الكسرة الكبيرة في موسم عام ١٩٩٣ وعلى كسرتين صغيرتين عام ١٩٩٤ (Biran and Naveh 1993; 1995). ولا يزال الجدل قائماً بين الباحثين حول إذا ما كانت هذه الكسر الثلاث من مسلة حجرية واحدة. ويعتقد بعض الباحثين أن هذه الكسر الثلاث هي في الأصل نقشان (Lemche 1998: 39). والنص المنقوش على المسلة بالخط الآرامي، يتكون من ١٣ سطراً منقوشة بآلة معدنية حادة الرأس ويفصل بين كل كلمة وأخرى نقطة. ويعتقد المنقبون أن المسلة تنسب لأحد ملوك مملكة دمشق الآرامية، وربما يكون هو الملك «حزائيل» أو أحد أبنائه، الذي حارب تحالف إسرائيل وبيت داود (يهوذا) خلال القرن التاسع قبل الميلاد وانتصر عليهما. وجاءت أهمية النقش في أنه يذكر «بيت داود»، ولهذا عدّه الآثاريون التوراتيون أول إشارة إلى داود ونسله من بعده.

وبعد الكشف عن هذه المسلة، ودراستها، ذكر المنقبون أنها تعود إمّا للقرن التاسع، أو الثامن قبل الميلاد، وأنها وجدت تحت الردم الذي نتج عن الهجوم الآشوري للموقع في عام ٧٣٢/٧٣٣ قبل الميلاد، وربما كسَرها سكان الموقع، واستخدموا كسرها في بناء أحد الأبنية. لكن باحثين آخرين (Athas 2003) يقترحون أنها تعود لبداية القرن الثامن قبل الميلاد، وتخص الملك الآرامي بن- حدد بن حزائيل. وعلى الرغم من محاولة بيران ورفاقه إعادة النقش لمنتصف القرن

التاسع قبل الميلاد، إلاّ أن هناك من الباحثين من يشكك في تاريخ النقش، بل نجد أن بعضهم يظن أنه مزور (Lemche 1998: 41. 181).

ويرى بعض المتخصصين بدراسة النقوش، والكتابات القديمة أن شكل الخط، واللغة، يخصان الآرامية المبكرة، أي القرن التاسع قبل الميلاد. بل ويضيف لمكه (Lemche 1998: 39) أن الذي بين أيدينا هو مسلتان تضمان نقشين كتابيين وجدا بعيدين مسافة ٨ أمتار عن بعضهما بعضا، ، بدليل أن الخطوط (lines) في الكسرتين الكبيرتين غير متطابقة، كما أن طريقة الكتابة فيهما تختلف. مع التخمين أنهما ربما كتبا في الوقت نفسه. وهناك أمر آخر يعزز التشكيك في أصالة مسلة تل القاضي، وهو أنه عثر عليها في مكان غير مكانها الأصلي، أي أنها منقولة من المكان الذي نصبها فيه الملك الآرامي. كما نود الإضافة أن الكتابات المعاصرة لم تشر إلى مقتل ملك يهوذا (Ahaziah) على يد ملك دمشق الآرامي. ويمكننا هنا الإشارة إلى ما ذكره العالم «لمكه» بأن محاولة علماء الآثار الإسرائيليين تأريخ نقش تل القاضي لمنتصف القرن التاسع قبل الميلاد، الغاية منه أن يكون معاصراً لنقش الملك المؤآبي ميشع الذي ذكر إسرائيل، وأن يكون أقدم من النقوش الآرامية الأخرى والتي شاعت خلال نهاية القرن التاسع والقرن الثامن قبل الميلاد. ويتكون النقش من ثلاثة عشر سطراً، اختلف العلماء في قراءتها، لكننا نعتمد أدناه الترجمة التي اقترحها العالم «لمكه» للنقش

اللوحة ٣: نقش ميشع (عن Dearman 1994)

الموجود على الكسرة الكبيرة من المسلة إذ يذكر «بيت داود» (Lemche 1998: 39-40)، وهي على النحو الآتي:

السطر الأول: { }..... {

السطر الثاني: { }.. أبي.. {

السطر الثالث: ومات أبي. وذهب إلى { إس

السطر الرابع: رائيل دخلت أرض أبي { }

السطر الخامس: أنا، وذهب حدد أمامي { }

السطر السادس: ... ملكي وأنا قتلنا.. { راكبي

السطر السابع: عربات وآلاف الخياله

السطر الثامن: ملك إسرائيل، وقتلت {

السطر التاسع: بيت داود. ووضعت {

السطر العاشر: أصبحت بلادهم {

السطر الحادي عشر: وآخرون و... {

السطر الثاني عشر: .... على... {

السطر الثالث عشر: حصار على {

على أيّ حال، فإن الدارس يجد أن النقش يذكر انتصار الملك الآرامي على دولتين الأولى إسرائيل (السطر الثامن من النقش)، والثانية بيت – داود (السطر التاسع)، أي أنه كان اتحاداً بينهما ضد عدو واحد. ومثل هذا الأمر، في حال اثباته أو صحته، فإنه يملأ فجوة في المصادر التاريخية، وهذا ما تسعى إليه إسرائيل في الوقت الحاضر. ونود أن نشير هنا إلى أن الإشارة في الحالة الأولى كانت لملك إسرائيل، لككنا نجد أن الكاتب في الحالة الثانية لم يشر إلى ملك بيت – داود، وإنما إلى بيت – داود. وهذا ما أشار إليه أكسل كناوف سابقاً (Knauf 1994).

تعرض هذا النقش لكثير من الدراسات، وزاد اهتمام العلماء به لأنه – وكما ذكرنا أعلاه – يذكر اسم «إسرائيل» و«بيت داود»، وهذه تعد أقدم إشارة نصية خارج كتابات العهد القديم (Rainey 1994; Davies 1994; Rendesburg 1995; Lemche 1998). ويرى العالم فيليب ديفيس أن «بيت داود» تتكون من ستة أحرف وكلمتين، فالكلمة الأولى

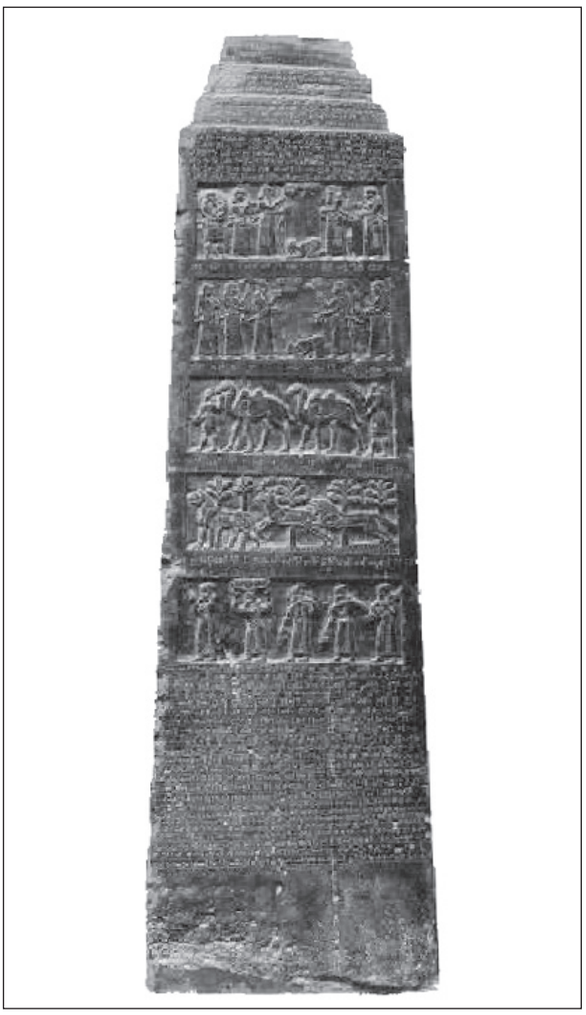

اللوحة ٤: مسلة الملك الآشوري المسماه «المسلة السوداء» التي تظهر انتصاره على عدد من الملوك ومنهم ملك إسرائيل «ياهو» (عن Isserlin 2001: Fig. 23).

«بيت» تحمل عدة معاني مثل «بيت، أي مكان الإقامة»، كما نقول «بيت لحم» «أي بيت الخبز» وهذا يعني أن المقطعين «بيت» و«لحم» هما كلمة واحدة، وربما ينسحب هذا الأمر على «بيت داود». ويضيف أن كلمة «بيت لحم» يمكن أن تقرأ على أساس أنها بيت الإله «لحمو»، والمقصود بكلمة بيت هنا مكان عبادة، أو معبد. وعلى أية حال، فإن ديفس يفضل أن هذه الكلمة «بيت داود» تشير إلى مكان وليس إلى داود وذريته (Davies 1994). وادعى بعض الباحثين (Athas 2003) أن المقصود ببيت داود الواردة في نقش تل القاضي هو القدس، بينما يرى آخرون أن الأسم بيت-داود المذكور في نقش تل القاضي لم يخرج عن كونه يشير إلى موقع يقع في المنطقة المحيطة بتل القاضي (Lemche 1998: 43).

• نقش ميشع:

تعد مسلة الملك المؤآبي ميشع، والتي عثر عليها في بلدة ذيبان عام ١٨٦٨م، الوثيقة التاريخية الثالثة التي تشير إلى «إسرائيل»، سواء باسم «ملك إسرائيل» أو كوحدة سياسية. والمسلة عبارة عن حجر بازلتي، إرتفاعه ١. ٢٤م، ويبلغ أقصى عرض له ٧١سم، وهي مستديرة الشكل في طرفها العلوي (اللوحة ٣). ويؤرخ النقش لزمن الملك المؤآبي «ميشع» في حوالي ٨٤٠ قبل الميلاد. عثر المبشر الألماني فردريك أوغسطس كلاين "Frederick Augustus Klein" على هذه المسلة لدى أحد سكان بلدة ذيبان عام ١٨٦٨م، وقام بعدها قنصل فرنسا في القدس شارلز سايمون كليرمونت-غانو "Charles Simon Clermont-Ganneu" في عام ١٨٨٨م بعمل طبعة للنقش موجودة الآن في متحف اللوفر، حيث تعرض النسخة الأصلية للنقش.

وأقام الملك ميشع هذا النصب في عاصمته ذيبان تخليداً لانتصاره على ملك إسرائيل «آحاب بن عمري» (طوقان ١٩٧٠). وتبرز أهمية النقش بالنسبة للدارسين التوراتيين لعدة أسباب منها أنه يذكر اسم الملك «عمري ملك إسرائيل» (الأسطر٤-٥، ١٠، ١٨)، وابنه «آحاب»، وكذلك اسم الآلهة الإسرائيلية «إيل» (السطر ١٢) و «يهوه» (السطر ١٨)، ويعد أقدم وثيقة تاريخية تذكر إسرائيل كوحدة سياسية (بيت عمري في المصادر الأخرى خاصة الآشورية) (Dearman 1989; Lemche 1998: 44). وإضافة لهذا، نشر العالم الفرنسي أريه لومير 'لى أنه استطاع قراءة الإسم «بيت داود» في النقش (Lemair 1994: 36).

ومن هنا، نرى أن نقش ميشع يشهد بأن إسرائيل كانت خلال القرن التاسع قبل الميلاد مملكة حكمها أسرة تسمى «بيت عمري»، وهذا ما أكدت عليه المصادر الآشورية. والأهم من هذا وذاك، ما ورد في السطر رقم ١٢ من النقش، والذي يقول « هق ر. ري ت. ل ك م ش. و ل م أ ب. م ش م. أت. أ ر أ ل. د و د ى. و أ س» وقدم فواز طوقان (١٩٧٠: ٣٩-٤٠) ترجمة لهذا السطر على النحو الآتي «المدينة. ر ي ت. لكموش. ولمؤاب/ وأرجعت (ورددت). من

هنالك، أرأل (؟). الاهها (أي اله المدينة). وأس.. ». وترجم كثير من الباحثين كلمة أرأل على أنها «موقد المذبح» حيث وردت لفظة مشابهة في كتاب العهد القديم (حزقيال ٤٣: ١٥-١٦). ومن المعروف أن الجذر «أرر» في العبرية له صلة بالوقد والنار، وأما «أل» فهي من لفظة الإله السامية «إيل»، وبناء عليه، يصبح المعنى «موقد إيل». أما بالنسبة للكلمة «د. و. د. ى» فذكر كثير من الباحثين (طوقان ١٩٧٠: ٤٠) بأن معناها الشائع في اللغات السامية هو «العم»، وتعني في العبرية «المحبوب». بينما يرى «لمكه» أن الكلمة «د. و. د. ى» « dwdh» الواردة في نقش ميشع ربما تعني عنوان لشيء ربما خص المعبد في «عطروت»، أو صفة معناها «محبوبه»، أو ربما اسم لإله مؤآبي يدعى داودو Lemche) « ”Daudo ١٩٩٨: ٤٥-٤٦).

وقام العالم الفرنسي أندريه لوميرفي عام ١٩٩٤م بإعادة قراءة نص النقش من خلال الطبعة الأصلية التي عملها كليرمونت – غانو في عام ١٨٨٨م، وذكر أنه تعرف على شبه الجمله «بيت داود» في السطر الحادي والثلاثين (Lemaire 1994: 30- 37). ولكي يكون هذا البناء اللغوي صحيحاً كان لا بد للومير أن يكمل الجزء المفقود من هذا السطر، فأضاف الحرف «د» وأحرفا أخرى، فاختلف المعنى كليا عما نشره غيره من الباحثين من أمثال فواز طوقان. فبينما ترجم لومير هذا السطر على النحو التالي: «وحورنن سكنها بيت داود «As for Horonen, there lived in it the house of [D]avid,» ונרונח .ישב .בה .בת[ד]וד”، نجد أن فواز طوقان يستنكف عن إعادة تركيب هذا الجزء المفقود من النص لأنه يعتقد أن هذا الفعل يعتمد على الحدس لا على الحقيقة، ونحن نؤيده بهذا. كما لم يوافق علماء آخرون على ما نشره لومير من استنتاج ذاتي لكلمة «داود» (Margalit 1995: 275; Bordreuil: 2001: 162 - 163 pp. 158-167 pp. 158-167).

• المسلة السوداء:

من الملاحظ، أن المصادر والوثائق التاريخية التي عثر عليها في بلاد الرافدين، سواء الآشورية أو البابلية لم تأت، في الغالب، على ذكر دولة إسرائيل بكتابة «مملكة إسرائيل»،

اللوحة ٥: المشهد المصور على المسلة السوداء ويظهر الملك ياهو بن عمري يسجد تحت قدمي الملك الآشوري تيجلات بلاصر الثالث (عن Wikipdia).

وعندما تذكر يهوذا فإنها تأتي على شكل «مملكة يهوذا» وليس «بيت داوود». ونعتت الكتابات الآشورية إسرائيل باسم «بيت عمري» أو السامرة. وهناك نص واحد من زمن الملك الآشوري شلمنصر الثالث (حوالي ٨٥٨-٨٢٣ ق. م.) يصف فيه انتصاره على تحالف ملوك سوريا وفلسطين ضده، ويذكر من بينهم الملك آحاب ملك إسرائيل، الذي تبرع بألفي عربة قتال وعشرة آلاف مقاتل راجل (ANET: 278-279). كما تذكر «المسلة السوداء Black Obelisk» المؤرخة لسنة ٨٣٠ ق. م، والتي عثر عليها في نمرود بشمالي العراق، اسم الملك « يهوه بن عمري» من بين دافعي الجزية للملك شلمنصر الثالث (ANET: 280-281). ويظهر من هذا الأمر، انهيار تحالف الممالك الشامية في وجه القوة الآشورية بعد موت الملك آحاب.

عثر على المسلة السوداء (اللوحة ٤) في موقع نمرود (اسمها القديم كالخو) إحدى عواصم الآشوريين في عام ١٨٤٦م، وهي منحوتة من حجر جيري أسود اللون، أقامها الملك الآشوري شلمناصر الثالث (حكم من ٨٥٨ وحتى ٨٢٤ قبل الميلاد)، وهي تشبه المسلات المصرية في شكلها. والنسخة الأصلية معروضة الآن في المتحف البريطاني في لندن. وتخلد هذه المسلة انتصارات هذا الملك على أعدائه، وتتجلى أهميتها في أنها تمثل أقدم تصوير لشخص إسرائيلي. ويمثل أحد الأشرطة المنحوتة على المسلة ملك مملكة بيت –عمري، الإسرائيلي «ياهو» وهو يحضر الجزية للملك الآشوري ويسجد تحت قدميه (اللوحة ٥).

بعد هذا، نجد أن الملك الآشوري أدد- نيراري الثالث

(٨١٠-٧٨٣ ق. م.) يذكر في حولياته اسم «بيت عمري» بصفته جزءاً من مملكته التي ضمت ممالك صور وصيدا وإدوم وفلسطين (Miller and Hayes 1986: 299). كما توالى ذكر السامرة وبيت عمري في سجلات تيجلات بلاصر الثالث (٧٤٤-٧٢٧ ق. م.). وبعد أن حكم سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ ق. م.) تم إطلاق اسم السامرة على المملكة الشمالية، كما نجد أنه يفرق بين مملكة السامرة وبيت عمري (ANET 284-285). من هنا، نتبين أن الآشوريين لم يسموا على الإطلاق المملكة الشمالية باسم «إسرائيل» وإنما أرض «بيت عمري» وعاصمتها «السامرة». (Lemche 1998: 53) ولا بد لنا من التنويه هنا إلى أن هذا يختلف عما ورد في مسلة الملك المؤابي ميشع، الذي أسمى مملكة آحاب بن عمري باسم «إسرائيل».

وأما فيما يتعلق بمملكة يهوذا في السجلات الرسمية الآشورية، فورد اسمها «يهوذا» وأسماء ملوكها بين أسماء الممالك والملوك الآخرين في سوريا وكليكيا وفنيقيا وفلسطين والأردن، ونضرب مثالاً على هذا من زمن الملك الآشوري سنحاريب الذي حاصر القدس عام ٧٠١ ق. م. ووصف محاصرته للملك حزقيا في عاصمته أور- ساليمو «Ur-salimmu» «كعصفور في قفصه» (ANET 282). وتوالى ذكر مملكة يهوذا في المصادر الآشورية على أنها دافعة للجزية وعومل ملوكها معاملة ملوك الدول الأخرى المجاورة. وخلال حكم الدولة البابلية الحديثة «الكلدية»، نجد أن الملك نبوخذنصر يذكرفي سجلاته أنه حاصر مدينة «يهوذا» وتغلب عليها، ونهبها ونصب عليها ملكاً موالياً له (ANET 564).

ومن هنا، نستطيع القول إن الآشوريين لم يولوا مملكة يهوذا أي اهتمام قبل حكم الملك تيجلات بيلاصر الثالث، ربما لضعفها وعدم قدرتها على مجاراة الأحداث في المنطقة، على عكس السامرة. ومن الممكن الاستنتاج بأن الوثائق والكتابات الآشورية والبابلية الحديثة لا تساعد كثيراً في دراسة أحوال دولتي إسرائيل ويهوذا. إذ إن هذه الوثائق، وللأسف، لم تشر على الإطلاق إلى التركيبة السكانية والأعراق التي شكلت هاتين الدولتين؛ ومن هنا، لا توجد في هذه السجلات أي إشارة لما يعرف باسم «بيت داود.

الخلاصة:

تظهر الدراسة أعلاه المحاولات التي يقوم بها بعض الباحثين التوراتيين في محاولة ايجاد شجرة عائلة، أو نسب للملك داود. وبما أنه لم تتوافر لهم معلومات حول هذا الملك خارج نصوص كتاب العهد القديم، نجد أنهم يحاولون التشبث بأي إشارة من الممكن أن تشير إلى بيت داود. وهذا ما ثبت من محاولة العالم الفرنسي أنريه لومير الذي استكمل حروفاً ناقصة في نقش ميشع ليضيف أحرفاً ويستكمل كلمة هي داود. وبناء عليه، فإننا نرى أنه لا بد للباحثين العرب من أن يعيدوا قراءة هذه النقوش، وأن يفسروها من وجهة نظر علمية محايدة.

من الملاحظ، أن ثلاثاً من هذه الوثائق التاريخية كتبت في فترة متأخرة عن حكم داود وابنه سليمان، أما ما ورد في مسلة الفرعون المصري مرنبتاح والمؤرخة لنهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، فيذكر بعض العلماء في أن ما ورد في السطرين الأخيرين من ذكر لكلمة «إسرائيل» قد أضيف في فترة لاحقة للنص الأصلي.

وبناء على ما تقدم، لا نزال نرى أن الحديث حول داود وبيته، هو حلم لم يتحقق للباحثين التوراتتين الصهاينة.

المختصرات:

ANET = Pritchard, J. B. 1969; Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament. 2nd edition. Princeton: Princeton University Press.

أ. د. زيدان عبدالكافي كفافي: عميد معهد الملكة رانيا للسياحة والتراث، الجامعة الهاشمية، الزرقاء - الأردن.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية

الكتاب المقدس، أي كتب العهد القديم والعهد الجديد. مترجم من اللغات الأصلية وهي اللغة العبرية واللغة الكلدانية واللغة اليونانية. القاهرة: دار الكتاب المقدس جمعية الكتاب المقدس سابقاً.

طوقان، فواز أحمد ١٩٧١: «مسلة مشيع ملك مؤآب». **حولية دائرة الآثار العامة الأردنية** ١٥: ١٩-٥٣.

ثانياً: المراجع غير العربية

Ahlström, G. W. 1980. "Was David a Jebusite Subject?" **Zeitschrift für alttestamentliche Wissenschaft** 92: 285-287.

Aharoni, Y. 1968. **The Land of the Bible: A Historical Geography**. London: Burns and Oates.

Athas, G. 2003. **The Tel Dan Inscription: A Reappaisal and a New Interpretation**, Journal for the Study of the Old Testament Supp 360; CIS 12. Sheffield: Sheffield Academic Press.

Biran, A. 1994. **Biblical Dan**. Jerusalem: Israel Exploration Society.

Biran, A. and Naveh, J. 1993. An Aramaic Stele Fragment from Tel Dan. **Israel Exploration Journal** 43/2-3: 81-98.

Biran, A. and Naveh, J. 1995. "The Tel Dan Inscription: A New Fragment". **Israel Exploration Journal** 45/1: 3-18.

Bordreuil, P. 2001. "A propos de l'inscription de Mesha': deux notes. Pp. 158-167. In: P. M. Michele Daviau, John W. Wevers and Michael Weigl (eds.), **The World of the Aramaeans III**. Sheffield, England: Sheffield Academic Press.

Davies, Philip R. 1994. "House of David' Built on Sand: The Sins of the Biblical Maximizers. " **Biblical Archaeology Review** 20/4.

Dearman, A. (ed.) 1989. **Studies in the Mesha Inscription and Moab**. Atlanta: Scholars Press.

Dever, W. 1996. **The Oxford Encyclopedia of Archaeology** 2: 396-401.

Fritz, V. and Kempinski, A. 1983. **Ergebnisse der Ausgrabungen auf der Hirbet el-Masa (Tel Masos)** 1972-1975, **Texts and Plates**. Wiesbaden: Harrassowitz.

Hasel, M. G. 1994. "Israel in the Merneptah Stele". **Bulletin of the American Schools of Oriental Research** 296: 45-62.

Howard, D. M. Jr. 1992. "David". Pp. 41- 49 in D. N. Freedman (ed.), **The Anchor Bible Dictionary**, Vol. 2, D – G. New York: Doubleday.

Isserlin, B. S. J. 2001. **The Israelites**. Minneapolis: Fortress Press.

Knauf, E. A. 1994. BaytDawīd ou * BaytDōd? **Biblische Notizen** 72: 60-69.

Lemaire, Andre 1994. "House of David' « Restored in Moabite Inscription. " **Biblical Archaeology Review** 20: 30 – 37.

Lemche, N. P. 1998. **The Israelite in History and Tradition**. London: Westminister John Knox Press.

Margalit, B. 1995. «Studies in NWSemitic Inscriptions,» **Ugarit-Forschungen** 26: 275.

Miller, J. M. and Hayes, J. H. 1986. **A History of Ancient Israel and Judah**. Philadelphia: Westminster Press.

Rainey, Anson F. 1994. «The 'House of David' and the House of the Deconstructionists,» **Biblical Archaeology Review**, 20/6: 47.

Redford, Donald Bruce. 1992. **Egypt, Canaan, and Israel in Ancient Times**. Princeton: Princeton University Press.

Redmount, Carol A. 'Bitter Lives: Israel in and out of Egypt'. In **The Oxford History of the Biblical World**, Michael D. Coogan, ed. : (Oxford University Press: 1999),

Rendsburg, Gary A. 1995, «On the Writing ביתדוד in the Aramaic Inscription from Tel Dan,» **Israel Exploration Journal** 45: 22-25.

Seger, J. D. 1983. Investigations at Tell Halif, Israel, 1976-1980. **Bulletin of the American Schools of Oriental Research** 252:

Stager, Lawrence E. 2001. «Forging an Identity: The Emergence of Ancient Israel» in Michael Coogan (ed.), **The Oxford History of the Biblical World**. Oxford: Oxford University Press.

Spiegelberg, W. 1896. Der Siegeshymnus des Merneptah auf der Flinders Petrie-Stele. **Zeitschrift für ägyptischen Sprache und Altertumskunde** 34: 1-25'

Wilson, J. A. 1969. in J. P. Pritchard (ed.), **Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament**. 2nd edition. Princeton: Princeton University Press.